خولة اعبيد

رحلة الهوية

رحلة فتاة للبحث عن الذات عبر أسماء منسية

رواية

رحلة الهوية

رحلة فتاة للبحث عن الذات عبر أسماء منسية

خولة اعبيد

معلومات الكتاب

عنوان العمل: رحلة الهوية: رحلة فتاة للبحث عن الذات عبر أسماء منسية

نوع العمل: رواية قصيرة

اسم الكاتب: خولة اعبيد

تصميم الغلاف: خولة اعبيد

تعبئة وتنسيق: خولة اعبيد

تاريخ الإصدار: 2023

حقوق النشر محفوظة للكاتب©

الإهداء

لكل حبات اللؤلؤ الثمينة التي شكلن هذا العقد المرمري وكن سببًا لخروجه لهذا الوجود،

لكلماتكن المميزة، وتعليقاتكن التي أضافت لمسةً مميزةً لهذه الصفحات، ولا أنسى أيضًا دعمكن الذي لا يقدر بثمن، أهدي لكن هذا العمل المتواضع كتعبير عن امتناني العميق وتجسيدًا للمحبة التي تملأ قلبي نحوكن، فأنتن كنز في حياتي، لذا أنا أشكركن من كل قلبي لكونكن حبات اللؤلؤ التي أثرت بجمالها على حياتي.

أختكن في الله خولة

عبر عوالم مختلفة؛ تبدأ رحلة للبحث عن الذات، وفي كل رحلة هناك الكثير من الألغاز والأسرار فكونوا مستعدين، ولنبدأ على بركة الله الغوص في عالم من الخيال.

اعتذار

أعتذر عن أي أخطاء إملائية فأنا لازلت مبتدئة وهذه أول محاولة لي في هذا المجال

المحتويات

قبل البداية 1
فتاة الغابة المطيرة 3
همسات القمر 8
في بلد المليون شهيد 12
مطر 17
نحو الحقيقة 21
في حضرة السلطانة 27
الترياق 31
سر القطة العجيبة 35
لا مزيد من الخوف 40
رحلة العودة 45

(0)

قبل البداية

كانت الفتاة ممددةً على سريرها، وجهها شاحب كأنها محاطة بأجواء الموت، وعيناها تبكيان أمطارًا من الحزن والألم، وصوتها الحزين يخترق قلوب الحاضرين الذين تجمعوا حولها، في ظل هذه الظروف القاتمة نطق أحد الحاضرين مندهشًا بصوت مزعج:

- إلى متى ستتمسكين بهذا العناد المجنون وترفضين الشفاء؟

ولكن قبل أن تجيب الفتاة، فُتح الباب بقوة ليدخل شخص متألم ينفث الحروف بصوت منهك:

- لقد وصلتْ!

وفجأةً تسرّبت البهجة إلى وجه الفتاة الهزيل وهمست لنفسها:

- الحمد لله، لم يتبق للألم الكثير من الزمن

***

في هذه الأثناء، تثور الرياح بعنف وتلوح في الأفاق المجهولة، تتأمل الفتاة ذات الرقة والسكون السماء المليئة بالنجوم وتردد بثقة قائلة:

- إذًا حان وقت العمل.

واستقرت أمام لوحتها الضخمة والمذهلة، كأنها تعدها لتخطف أنظار العالم بإبداعها.

***

في أرجاء الزمان والمكان، تصارع فتاة صغيرة الظلام القاتم الذي يلتف حولها بكل شروره، دموعها تنساب كأنها أنهار متلاطمة، وجسدها يرتعش من الخوف تهمس في داخلها بقلبٍ يحترق:

- لم يبق الكثير... سأحرر نفسي من أسر خيوط الظلمة.

***

في الوقت الحاضر، تمدُّ خولة يدها نحو روايتها الأخيرة لهذا العام، دون أن تدري أن الكتاب سيكشف لها أحداثًا غير متوقعة وتحديات مثيرة في الأيام القادمة.

(1)

فتاة الغابة المطيرة

أنا خولة فتاة في العشرينات من عمري، أعشق الكتب وكل ما يتعلق بالقراءة وقد عشت رحلة عبر عوالم متعددة جعلت مني شخصا جديدا بقناعات أكثر منطقية وعقلانية. بدأت كل القصة حين أنهيت قراءة الصفحة الأخيرة من تلك الرواية؛ حينها انبعث منها شعاع أخضر سحبني إلى عالم غريب وعجيب، يلفه الغموض والألغاز. في ذلك المكان استيقظت وألم شديد في رأسي. مسحت الغبار عن فستاني وعدلت خماري، وبدأت أنظر في استغراب إلى ما حولي. لا يوجد سوى اللون الأخضر، عشب وأشجار في كل مكان وقطة صغيرة في حجري.

- "هل أنا في غابة أم ماذا؟"

هكذا تساءلت في نفسي. بقيت أسير على غير هدى في هذه البقعة الخضراء، وتلك القطة الصغيرة تتبعني فقلت لها:

- "من أنت؟ ولما تتبعينني؟ هل سوف ترشدينني أم أنك سوف تعيقين تحركاتي؟"

لم ترد القطة، ضحكت على نفسي وأكملت مسيري حتى وجدت صخرة عالية، صعدت إليها بصعوبة لكي أرى بشكل أوضح لكن لا

شيء سوى الأشجار. نزلت وجلست بجانبها، وبقيت أفكر أين أنا؟ وماذا أفعل هنا؟ والسؤال الأهم: كيف أخرج من هنا؟ أسئلة كثيرة تحيط بي فقلت في نفسي:

- "هيا، سوف تجدين حتماً حلاً. لقد قرأتِ الكثير من الروايات، تعرفين جيداً ماذا يحدث."

فجأة، لمحت من بعيد شخصاً قادماً باتجاهي. شعرت بالخوف، فاختبأت بسرعة خلف الصخرة، أختلس النظر من حين إلى آخر إلى أن اقترب ذلك الشخص، لحسن حظي، كانت فتاة صغيرة بوجهها الطفولي المرح وملامحها العربية الساحرة وثوبها الأخضر الجميل. نظرت إليّ باستغراب وقالت:

- "ماذا تفعلين خلف الصخرة؟ هل تلعبين الغميضة؟ أنا أيضاً أريد أن ألعب معك."

نظرت إليها بخوف وقلت:

- "لا، لست ألعب، فقط كنت جالسة هنا أفكر."

قالت الفتاة بحزن طفولي:

- "يا للخسارة، كنت أريد اللعب. يا مفكرة، سوف أسميكِ مفكرة لأنك تفكرين."

عندما لاحظت أنني تأثرت بالاسم، أضافت:

- "عندما وجدتكِ."

نظرت إليها وقلت:

- "يمكنكِ مساعدتي؟ أنا تائهة وأريد العودة إلى الديار."

وحكيت لها قصتي بشكل سريع. بقيت أراقب تعبيرات وجهها التي لم تظهر عليه أي تعبيرات. لا أدري إذا كانت قد صدقت قصتي أم لا. سألتها:

- "هل أنتِ معي؟"

تمتمت الفتاة شيئًا بصوت خفيض وقالت:

- "تعالي معي، سآخذكِ إلى منزلي. بعدها نفكر في حل يا مفكرة."

أكملنا طريقنا وسط تلك الغابة، وفجأة صرخت الصغيرة قائلة:

- "ها هو منزلي!"

بقيت أنظر ببلاهة وقلت:

- "شجرة؟! هل أنت تعيشين داخل شجرة؟"

أجابت الفتاة بمرحها الطفولي:

- "نعم، هذه شجرتي السحرية، أكبر شجرة متشجرة في عالم الأشجار والشجيرات."

اندهشت من كلامها وقلت:

- "ماذا تقولين؟"

ضحكت الصغيرة وقالت:

- "لما الاستغراب يا مغتربة؟ كلام ليس به غربة ولا غرابة."

شعرت بصعقة في رأسي وقلت:

- "اللون الأخضر، الشجرة السحرية. وهذه الكلمات المقفاة مهلا أنا أعرفها".

دمعت عيوني وارتميت في حضن الفتاة وقلت لها:

- "لؤلؤة، أهذه أنت؟"

شعرت الفتاة بالتوتر وقالت لي:

- "ماذا تقولين، يا مفكرة؟ أنا لست هي."

قلت والدمع يجري على خدي،

- "لا، بل أنتِ هي آلاء. أنتِ آلاء."

بدأت الصغيرة بالبكاء، وفجأة لم أعد أشعر بها. نظرت إلى يدي، فوجدتها بدأت تختفي. نظرت إليها بدهشة واستغراب، وقلت لها بصوت يملأه البكاء:

- "ماذا يحدث؟"

أجابت الصغيرة:

- "ما كان عليك أن تنطقي اسمي، يا خوخولتي. لقد عرفتك منذ أن رأيتك خلف الصخرة، لكن تظاهرتُ أنني لم أعرفك لأنني لم أكن أريدك أن تختفي. أردتُ إحضاركِ إلى هنا لكي أخبركِ بأسرار

وقواعد هذا العالم، لكنكِ ذكية. استطعتِ أن تكتشفي هويتي بسرعة."

بقيتُ أحدق فيها، وأنا لا أستوعب شيئاً. كلما استطعتُ قوله:

- "كيف عرفتِني؟"

ضحكت ضحكة صغيرة وأجابت:

- "ألم أخبركِ أن كونان ابن خالتي؟ والآن بدأت تختفين. ستجدين نفسكِ في عالم آخر مع شخص آخر. وتذكري، إذا عرفتِ محدثكِ، لا تنطقي اسمه حتى تخبركِ السلطانة بكل شيء. وعندما تلقينها، أبلغيها سلامي حتى نلتقي مرة أخرى."

مع آخر كلماتها، شعرت بوجع في رأسي ووجدت نفسي في مكان آخر، تملأه أوراق يابسة وقمر مكتمل.

(2)

همسات القمر

مع آخر كلماتها، شعرت بوجع في رأسي ووجدت نفسي في مكان آخر، تملأه أوراق يابسة وقمر مكتمل. بقيت أنظر حولي في استغراب، أحاول استيعاب ما قد مر بي. جلست على الأرض أحاول ترتيب أفكاري المشتتة. نظرت حولي فوجدت غصنا جافا أخذته وأزلت الأوراق عن الأرض حتى ظهرت التربة بدأت اكتب:

أولا ظهر شعاع أخضر من الرواية عندما أكملت قراءتها

ثانيا وجدت نفسي في الغابة المطيرة مع قطة غريبة مازالت تتبعني

ثالثا وجدت آلاء مع شجرتها السحرية

رابعا نطقت اسمها واختفيت ووجدت نفسي في هذا العالم

خامس عليَّ ألا أنطق اسم أحد عندما أجده

سادسا عليَّ إيجاد السلطانة لفهم ما يحدث

بقيت أحدق فيما كتبته وأفكر من سألتقي هذه المرة؟ وكيف سأصل إلى السلطانة؟ تنهدت تنهيدة كلها حسرة وألم. وتساءلت أين سأقضي ليلتي؟ وكيف يمر الوقت في هذا العالم؟ شعرت بقشعريرة تسري بجسدي جعلتني أنهض من مكاني، أسير وحيدة وخائفة. أحاول أن أجد دليلا يرشدني إلى الشخص الذي سوف التقيه. بقيت انظر حولي ليس هنا سوى الأوراق الجافة!! إذا، إنه

الخريف. لكن ما علاقة الخريف بالمجهول الذي سوف ألتقيه؟ فجأة، بدأت أسمع صوتا خافتا أشبه بالهمس. سرت خلف ذلك الصوت لعلي اهتدي إلى صاحبه. بدأت تصلني كلمات متقطعة، إذا لقد اقتربت من مصدر الصوت، وصار أوضح. كان ما وصل إلى مسامعي ما يلي:

" هَل غادَرَ الشُعَراءُ مِن مُتَرَدَّمِ

أَم هَل عَرَفتَ الدارَ بَعدَ تَوَهُّمِ"ِ

اقتربت أكثر فرأيت فتاة ذات شعر برتقالي بفستان أسود، تجلس وسط كومة الأوراق البرتقالية اليابسة، وكانت تمسك كتابا تقرأ منه تلك الأبيات بصوتها الذي يدخل القلب بلا استئذان. جلست وأنا استمع لصوتها الرنان. وفي نفس الوقت أجمع تفاصيل هذا اللغز. فتاة ذات شعر برتقالي جالسة تحت ضوء القمر، تقرأ قصيدة لعنترة بن شداد، بصوت أشبه بالهمس. رسمت ابتسامة على وجهي وقلت في نفسي إنها عبلة! اقتربت منها أكثر لكي أعانقها. بقيت تنظر إليّ بابتسامة حانية وقالت:

- "لم أكن أعرف أنك سوف تصلين الآن لكي أعد لك استقبالا يليق بمقامك" ابتسمت. وتابعت حديثها:" هل كنتِ في عالم آخر؟"

أومأت لها برأسي بالتأكيد، وأخبرتها بكل التفاصيل. أجابت بابتسامة أخرى:

- "تبدو الأمور معقدة، لكن لا تقلقي، سأساعدك"

سألتها:

- "أين تعيشين؟"

ضحكت وقالت:

- "هذا منزلي فمرحبا بك"

نظرت حول المكان باستغراب وجلست تحت ضوء القمر وأنا أضم ساقين إلى صدري استمع لها هي لا زالت تقرأ كتابها. فجأة، أحسست بألم في رأسي وارتجاف في كامل جسدي. بسرعة ألقت الكتاب من يديها وبدأت تصرخ:

- "ما الأمر؟! ماذا حدث؟"

نظرت إلى السماء وقالت بخوف:

- " يا الله نسيت أن اليوم يوم اكتمال القمر وهو يضر بعض الأشخاص وهنا لا يوجد سقف تقضين فيه ليلتك. كنت أود المساعدة لكن، قد لا تصمدين طويلا. بسرعة انطقي اسمي!"

بقيت أنظر اليها بضعف ووهن وأنفاس متقطعة. نظرت إلى برجاء وقالت:

- " أرجوك انطقي اسمي لكي تخرجي من هذا العالم، كوني قوية خولة.. خولة.. "

فتحت عيناي بصعوبة وبدأت أتلاشى من جديد

(3)

في بلد المليون شهيد

فتحت عيناي بصعوبة، وبدأت أتلاشى من جديد. بعد مدة من الزمن، لا أدري هل هي ساعات أم أيام فلازلت لا أعلم طبيعة الزمن في هذا العالم ولا كيف يسير، بدأت استرجع الوعي تدريجيا. نظرت حولي أحاول تذكر آخر ما حصل عندما كنت مع عبلة. كل ما أتذكره أنني فقدت الوعي، ونطقت اسمي لكي تنقذني. وها أنا الآن في عالم آخر وليست لدي إجابات. بقيت مستلقية على الأرض من شدة التعب لم أستطع النهوض، أو بالأحرى لم أكن أريد النهوض. هذه المرة لم أتجول لاستكشاف ما حولي ولم أبالي، لأني أعرف حظي السيء سوف يفسد الأمور. في البداية نطق اسم آلاء فاختفيت، وبعدها أغمي عليَّ في بيت عبلة. والآن ماذا؟ فجأة، امتدت إلي يد لكي تنتشلني من الأرض. عاندتها في البداية خوفا ويأسا. لكن، في نهاية المطاف استجبت لها. لقد كانت سيدة بجوارها ثلاثة أطفال بنتان وصبي صغير. أحاول تذكر من هذه السيدة هل هي شخص أعرفه أم أنها مجرد شخص عابر؟ لكن لحظة!! في العالمين السابقين لم يكن شخص آخر غيرهما. إذن هذه السيدة هي الشخص المقصود. لكن من تكون؟ بقيت أنظر حولي. المكان يبدو عاديا، منطقة سكنية تحتوي على

الكثير من البيوت. يبدو أن أحدها هو بيت هذه السيدة. أردت أن اسألها، لكن فضلت الصمت. بقيت أسير بجوارها وأنا صامتة أحاول ربط الأدلة التي معي لكي أعرف من هذه الشخصية الهادئة التي ترافقني. استدارت السيدة ووجدتني قد تخلفت عنها، فنادت عليَّ قائلة: "ارواحي لهنا يا حنونتي" بدأت الصورة تتضح شيئا فشيئا. لنربط ما لدي:

سيدة أكبر مني سنا

لديها ثلاثة أطفال

تتحدث بالجزائرية

هنا بدأ عقلي يتساءل : هل يعقل أنها هي ؟

انتشلني صوت ترحيبها في بيتها الهادئ من أفكاري. دخلت إلى بيتها، ثم أشارت إليَّ بأن أجلس. وقالت لي:

- " يبدو لي أنني لست الأولى؟"

حركت رأسي مؤكدة كلامها، ثم حكيت لها ما حدث حتى الآن والدموع تنساب كالسيل على خدي. ضمتني إليها وقالت بصوت كله حنان:

- " لا تبكي يا صغيرتي. لا تنظري إلى الجانب السلبي ولا تكوني متشائمة. ما هكذا عهدتك يا بنيتي !"

مسحت دموعي وأردفت:

- " بل انظري إلى الجزء الممتلئ من الكأس"

نظرت إليها بحيرة قلت:

- " أي جزء ممتلئ في هذا؟ كأسي فارغ بالكامل!"

ردت والابتسامة لا تفارق وجهها :

- " ألم تشتاقي لرؤيتنا؟ أ بهذه السرعة تريدين مغادرة عالمنا ؟ ألا تريدين أن تجلسي معي ومع صديقاتك؟ "

أجبتها بصوت متعب :

- "بلى، اشتقت إليكن كثيرا، خاصة أنت. فلقد مر زمن طويل منذ أن تحدثنا. اشتقت إلى كلماتك الحانية التي ترسم البسمة على ثغري كلما قرأتها. لكن أريد أن أعرف لماذا أنا هنا؟ وماذا أفعل؟ وكيف انتقل من عالم إلى آخر؟ و .."

قاطعتني السيدة اللطيفة قائلة :

- " هوني عليك يا صغيرتي، ولا تستعجلي سوف تعرفين كل شيء في وقته. سوف تلتقين بالسلطانة وسوف تخبرك بكل شيء."

سألتها بألم:

- " متى سوف التقيها؟ قد تطول الرحلات !"

نظرت إليَّ بحنو وقالت:

- " سوف تجدينها. لكن لا تنسي أن تستمتعي بكل رحلة تقضينها. ولا تفكري كثيرا فتنهكي نفسك بكثرة التفكير. كوني كما

عهدتك رزينة حكيمة، ففي مثل هذه المواقف علينا الاعتماد على حكمتنا. يا بنيتي لا تبقي حبيسة اللحظة انطلقي وابحثي وكوني على ثقة أن الله لن يضيع تعبك."

ابتسمت لكلماتها التي أعادتني إلى رشدي وعانقتها بحرارة. وقبل أن أنطق باسمها سألتها :

- "متى سوف تعودين يا أم عمر؟"

ردت عليَّ وابتسامة عريضة تعلو محياها :

- " في القريب العاجل يا خوخولة" تنهدت تنهيدة عميقة وبدأت بالتلاشي مرة أخرى.

فيا ترى في أي عالم سوف أستيقظ؟ ومن سوف يرشدني إلى مبتغاي؟ هذا ما شغل بالي حينها. بعد دقائق أحسست أنها دهر تنهدت تنهيدة عميقة وبدأت بالتلاشي مرة أخرى. لم أشعر بالحزن هذه المرة بقدر ما شعرت بالراحة. فكلمات حليمة كانت كالبلسم على قلبي. صحيح أنني أريد أن أعرف لما أنا هنا ؟والعديد من الأسئلة. لكن، في الوقت نفسه أريد أن أتعرف إلى بقية شخصيات هذا العالم. رغم أنني أقضي معهن وقتا قصيرا. إلا أنني سعيدة بالأثر الذي يتركنه بداخلي. بقيت أمشي وحيدة أتأمل المكان حولي. ضممت نفسي بكلتا يداي اصطنع بعضا من

الدفء، فهذا المكان؛ بارد نوعا ما. كأنني في فصل الشتاء، في إحدى ليالي ديسمبر.

(4)

مطر

ضممت نفسي بكلتا يداي اصطنع بعضا من الدفء، فهذا المكان؛ بارد نوعا ما. كأنني في فصل الشتاء، في إحدى ليالي ديسمبر. أسئلة كثيرة تتدفق في رأسي؛ أي شخصية سوف أتعرف عليها هنا؟ وأين هي؟ لماذا هي مختبئة؟ ربما لا تعلم بمجيئي! تابعت المشي بحذر. فجأة، تسللت رائحة عطرة إلى أنفي ،رائحة أعشقها كثيرا. رفعت رأسي إلى سماء لتبدأ قطرات المطر بالنزول. شيئا فشيئا، بدأت الأمطار تشتد. فرحت كثيرا وقلت في نفسي:

- " سوف أتمشى كثيرا اليوم !!!"

لكن تذكرت أنني لا أعلم شيئا عن هذا العالم. وإذا مرضت كيف سأتصرف ؟ لذا، بدأت أبحث عن مكان أحتمي فيه من المطر. بعد بحث قصير وجدت سقيفة، تبدو قديمة، لكنها تفي بالغرض. جلست فيها أتأمل هذه الأمطار الغزيرة حيث طيات المطر ترقص على الأرض، وكل قطرة تبدو وكأنها تحمل أسرار الزمن. وأملأ رئتاي بهذه الرائحة المنعشة. وقلت في نفسي:

- " سبحان الله، كائنات مجهرية تعيش في التربة تنتظر هطول الأمطار حتى تصدر هذه الرائحة المبهجة!"

بقيت أنظر وأفكر "يا ترى من سوف أقابل؟ وكيف ستدعني هذه الأمطار أكمل بحثي؟" بدأت اتأمل السقيفة فلفت انتباهي اقتباس مكتوب بخط عريض

أيَا وَجْهَ صُبحٍ يَبُثُّ الهُيَام..

يا خَيرًا يَهِلُّ كقَطَرِ الغَمَام..

بقيت أردد في هذه الكلمات وقلت في نفسي كلمات مألوفة ! مهلا لحظة !! أظنني عرفتها !! وهذه الأمطار إنها إشارة واضحة. كيف لم تخطر ببالي؟ إنها .. إنها رواء المطر. لكن، أين هي؟ فجأة، سمعت صوتا من خلفي يقول :

- "أنا هنا"

قفزت من مكاني واضعة يدي على قلبي. وقلت:"

- لقد أخفتيني يا ر.. "

قبل أن أكمل كلامي وضعت يدها على فمي وقالت :

- "لازلت أريد التحدث معك. لا تستعجلي الرحيل"

اعتذرت منها ونكست رأسي أرضا. ابتسمت وقالت:

- " لا تنحرجي. أي شخص في مكانك سوف يفعل نفس الشيء. تعالي وعانقيني"

عانقتها. وفجأة شعرت بشعور غريب يراودني، لا أدري كيف أصفه. لكن، ذلك الإحساس الغريب كان يسري بجسدي كاملا. ابتعدت عنها قليلا، وقلت :

- "فجأة شعرت بشعور غريب لا أدري كيف اشرحه لك"

نظرت إليَّ والدموع في عينيها. مددت يدي ومسحت دمعها وقلت :

- "لا تبكي يا غالية. فالدموع لا تليق بفتاة مثلك ولو كانت دموع فرح. أنا فقط لا أدري ماذا حدث معي لهذا ابتعدت حتى لا ينتقل إليك"

ابتسمت الفتاة وقالت:

- " يا لك من طيبة تخشين عليَّ حتى من نفسي"

استغربت من كلامها وأردفت الفتاة بابتسامة دافئة :

- "أنا رواء المطر، حارسة الأمطار والأحاسيس. وكل مشاعري وأحاسيسي تنتقل مني إلى شخص آخر. لكن، يجب عليَّ أن أطلب إذن ذلك الشخص أولا. لكن، أنت .. "

مسحت دموعها وأكملت :

- " أنت مختلفة. لم أطلب منك شيئا ولم أخبرك بشيء. لكن طيبتك ونقاء قلبك حمل الحزن الذي كان يثقل قلبي عندما عانقتك. رغم الحزن الذي يختزن في قلبك حملت حزني دون تردد

أشكرك لأنك جعلتني أشعر بالراحة دون أن أطلب ذلك منك وهذا ما أسعدني كثيرا يا خولتي"

اندهشت وقلت لها:

- " لم نطقت اسمي؟"

ردت عليَّ:

- " أريد أن أشكرك على ما فعلته معي وأجعل رحلتك أسرع"

غادرت الفتاة السقيفة بعدما نطقت اسمي، بينما أنا بقيت أتذوق نقاء الهواء وأشعر بأنني حملت معي شيئًا خفيفًا من رواء المطر قبل أن أختفي كليا من هذا العالم. وكانت آخر كلمات لي في هذا العالم

- "رواء.. بحر من قصص وحكايا تسيل مثل الأمطار التي تروي الأرض"

بدأت الأمطار تتلاشى لأجد نفسي في مكان أشبه بالحديقة. أزهار من كل الأنواع. جلت ببصري في الأرجاء وبابتسامة واسعة قلت:

- " وأخيرا مكان على ذوقي"

(5)

نحو الحقيقة

بقيت أتجول بين الأزهار. ومن بعيد لمحت فتاة ترتدي النقاب، جالسة بجانب أجمة من الجوري الأحمر. وبيدَها، تحمل رواية كأنها كنز قديم يحمل في صفحاته أسرار الحياة. لم تكن الكلمات وحدها التي تعكس عبقريتها، بل كانت العواطف تتسلل من بين صفحات الرواية، تجعلني أتساءل عن القصص الخفية التي تختبئ خلف تلك العيون الباحثة فبدأت بالسير نحوها. نظرت إليها بتمعن وكانت تبتسم أو هكذا خيل إلي. لقد كنت حائرة، هناك شخصيتان بهذه المواصفات لكن أي واحدة منها؟ بقيت أتأمل، هل سأجد دليلا آخر؟ لأنني لا أستطيع السؤال؛ إذا نطقت اسمها تلاشيت دون أن أعرف الحكاية. بدأت أفكر قليلا وأنظر جيدا فيما حولي. أول ما فكرت فيه أن أمعن النظر في عنوان الرواية فاسم الفتاة التي خطرت ببالي عنوان لرواية. لكن للأسف لم أستطع الاقتراب أكثر فهذه وقاحة. بعد لحظات من التأمل. رأيت كوبا من القهوة. لحظة، بل هما كوبين !! دون أن أشعر قلت بصوت مرتفع :

- "هل يعقل أن تكون هذه المرة شخصيتين؟"

قالت إحداهما :

- " نعم سكرتي"

خجلت من نفسي لأنني كنت أسترق النظر. وبعد لحظات جاءت الفتاة الأخرى بنقابها ذو لون أزرق هادئ. كانتا تبدوان من الأميرات. رائحة الجوري ورائحة القهوة تتناغمان في الهواء، خلقتا لحظة ساحرة من الاسترخاء والجمال. يتداخل عبق القهوة القوي بلطف مع عبير الجوري الناعم، ملتقطين قلوب الحاضرين في رحلة عاطفية عبر الحواس. تتأرجح الروائح معًا كلمحة فنية، تخلق أمواجًا من الدفء والسكينة، تجعل من هذه اللحظة لحظة لا تُنسى في طيات الذاكرة. تلألأت عيوني وقلت:

- " يا لها من مفاجأة أن أجدكما هنا يا غاليات"

وقلت في نفسي إيناس وخديجة ليتني كنت يوما مثلكما وضعت الفتاة إيناس كتابها، وقالت:

- " هيا تعالي معي في جولة لتمتعي نظرك بأزهاري"

تبعتها وأنا أمعن النظر في كل هذا الجمال الرباني. وقلت مستغربة :

- "ما أكثر الجوري !!"

ردت قائلة :"

- أحبه وأعشقه. أشعر أنه أنيس وحدتي هنا"

بقينا نسير جنبا إلى جنب إلى أن وصلنا أحواض الجازانيا فجأة صحت :

- "جازانيا مشعة ؟!"

تساءلت الفتاة إيناس:

- "ماذا؟ أين؟"

أشرت إلى حوض كان مليئا بأزهار الجازانيا المشعة. نظرت اليها نظرة تعجب واستفهام وقالت :

- "قمت بسقيها هذا الصباح ! لم تكن مشعة أبدا"

تساءلت:

- " أي نوع من السماد تستعملين؟"

ردت:

- " السماد الكيماوي المعروف (أزوت-فوسفور-بوتاسيوم). لكن أول مرة يحدث هذا !!"

بقيت أنظر إليها مستغربة وسألتها :

- "هل قرأت الصيغة الكيميائية؟"

- لا. فليست هذه أول مرة أستعمله !

- ربما كان يحتوي على الفوسفور المشع بدل الفوسفور المستقر ؟

- ماذا تقصدين ؟! لا يمكن فعمر نصف تفتت الفوسفور يتراوح ما بين خمسة عشر يوما إلى خمسة وعشرين ! لو كان مشعا لظهر في غرفة التخزين.

- كلام منطقي. لكن، ربما تفاعله مع الخلية سبب هذا الإشعاع !

- لا أعتقد هذا. حتى أن كان هذا صحيحا فأنا استعمل تقنية التسميد بالري

قلت في حيرة من أمري :

- "هذا يعني لو كان المشكل من الفوسفور كان سيظهر في بقية الأحواض"

- نعم. هيا لنبتعد عن هذا الحوض ولنفكر في أمره لاحقا.

سرت خلفها وسر ذلك الحوض لازال يشغل تفكيري. انضمت إلينا خديجة ولاحظت حيرتي، وقالت لكي ترفه عني :

- " هل تعلمين أن السلطانة قد أكملت عامها السادس عشر؟ صحيح أنها صغيرة السن. لكن، لها رجاحة عقل فاقت سنها بكثير. اسأل الله أن يحفظها بما حفظ به يونس في بطن الحوت"

نظرت إلي وقد لاحظت شرود ذهني. وقالت:

- " ما بك عزيزتي؟ ما يشغل بالك؟"

بعد لحظات سألت:

- " كم عدد الأزهار في ذلك الحوض؟"

بدأت إيناس تفكر، ثم قالت بدهشة:

- " ست عشرة زهرة !! "

فأضافت خديجة:

- " ما هذه المصادفة ؟! تماما مثل عمر السلطانة !!"

فتحت عيناي بذهول. وبدأت بالجري نحو الحوض وأنا أردد:

- " لقد وجدتها !"

لوحت للفتاتين وقلت لهما:

- "دعواتكن عزيزاتي لقد وصلت لمبتغاي"

سمعتهن من بعيد وبصوت واحد:

- " امنك الله من كل شر غاليتي"

بدأت أربط الأحداث في ذهني. أزهار الجازانيا المفضلة لدى السلطانة كيف غاب هذا عني. ما أن اقتربت إلى حوض زادت ثقتي بما توصلت إليه. لقد كانت الأزهار مرتبة على شكل حرف M !! إنها هي لقد اقتربت من الحقيقة. مددت يدي إلى الزهرة الأكثر اشعاعا و قلت في نفسي أنا قادمة سلطانتي. وجدت نفسي في مكان تلفه المرايا من كل جانب. فجأة بدأت تظهر الكتابات بشكل تدريجي على الجدران. وكان أول ما ظهر:

" اختاري مرآة واحدة كوني حكيمة في قرارك إما الفوز والوصول للمبتغى وإما الخسارة والنزول للمنفى"

ابتلعت ريقي بصعوبة وبدأت أنظر حولي قررت أن اتبع قلبي مددت يدي نحو إحدى المرايا وقلت :

- " هذه ! أنا اختار هذه المرآة"

تشكلت الحروف على الجدار وكان ما كتب:

" قرار لا رجعة فيه فليكن كما أشرت"

سحبني ضوء غريب نحو المرآة ألقى بي إلى عالم آخر. نظرت حولي والدموع في عيناي وقلت ماذا فعلت لا يمكن

(6)

في حضرة السلطانة

سحبني ضوء غريب نحو المرآة ألقى بي إلى عالم آخر. نظرت حولي والدموع في عيناي. وقلت:

- " ماذا فعلت؟ لا يمكن !"

نظرت حولي وكأنني داخل لوحة فنية تحكي قصة الماضي والحاضر. المنازل تحف معمارية، تنتشي بتفاصيل مورقة ونوافذ بأشكال خلابة، تعكس روح الحقب المختلفة التي مرت عليها هذه البلدة الرائعة. هناك أثر عربي مع فناء داخلي مفتوح للسماء مزين بنباتات خضراء تحيط بنافورة ماء، بجانبها تنبت الأزهار الملونة التي تضيف جمالا لا يوصف. إنها قرطبة إذن لقد نجحت وصدق حدسي. والآن المهمة الأكثر صعوبة الوصول إلى السلطانة !! انزويت بعيدا عن الأنظار أفكر في طريقة للوصول إليها. وقلت في نفسي :

- " هيا يا مفكرة جدي حلا: ضحكت من نفسي وقلت: مفكرة، هه لولا تسرعي لحظيت بالكثير من لطافتك يا لؤلؤتي. لكن لا تقلقي سوف أبحث عنك مرة أخرى لدي الكثير لأحكيه لك"

تنهدت تنهيدة كلها حسرة على حالي. فجأة، رأيت جنديان واقفان في وسط الساحة والناس تتجمهر حولهما. فذهبت أنا أيضا لكي أعرف ماذا يجري. فتحت أحدهما مخطوطة وبدأ يقرأ ما فيها قائلا:

- " السلطانة مريضة، ولم يفلح أحد في علاجها. ومولاي السلطان يعد كل من يكشف سبب علتها بثروة هائلة. ومن أضاع وقتنا فصلنا رأسه عن جسده !"

سمعت الخطاب، وقلت :

- " عليَّ المخاطرة واستغلال الفرصة !!!"

ابتلعت ريقي بصعوبة، وقلت بأعلى صوتي:

- " أنا .. أنا سوف أكون طبيبة السلطانة ! "

بدأت الحشود تتنحى جانبا حتى ظهرت. وقال أحد الحارسين باستعلاء :

- "وأي علم أوتيت؟ حتى تنصبي نفسك طبيبة للسلطانة !!"

ضحك الجندي وشاركه صاحبه قائلا بازدراء:

- " رعاع القوم صاروا يلقبون أنفسهم بالأطباء !!"

شعرت بالغضب وصحت فيهما بشدة:

- " أوتيت من العلم ما ليس عندكما ! ثم ماذا تكونان وزيرين أم مستشارين؟ أنتما لستما سوى جنديان؛ كلفكما السلطان بمهمة وهي أن تحضرا من يداوي السلطانة. وليس أن تحكما عليه. بأي حق تتكلمان؟ فقط لأنني صغيرة؟ أم لأنني فتاة ؟"

تسمر الجنديان في مكانهما من كلامي وقالا بلهجة آمرة:

- " هيا تحركي أمامنا !! "

قلت:

- " لما ؟! هل امسكتماني أقطع الطرقات أم انهب الممتلكات؟ لن تسيرا خلفي وإنما أنا من أسير خلفكما. لن أهرب فأنا من قدمت نفسي"

أحس الجنديان بالشماتة وسارا نحو قصر السلطانة وأنا اتبعهما. أحكمت قبضتي على يدي حتى لا تظهر ارتجافتهما. ما إن دخلت القصر، تمتم الجنديان شيئا للسلطان نظر إليَّ نظرة خاطفة وقال:

- " اتبعيني"

فتبعته بصمت إلى أن وصلنا إلى غرفة كبيرة؛ اتضح فيما بعد أنها غرفة السلطانة. كانت مستلقية على ظهرها شاحبة الوجه. استأذنها السلطان في الدخول وقال:

- " هذه من تطوعت لعلاجك سوف أتركك معها"

خرج السلطان وتركني مع السلطانة. نظرت إليَّ في تعب وقالت:

- " لقد جئت كنت في انتظارك"

أمسكت يدها وقلت :

- "أنا هنا من أجلك. سوف أساعدك وأعالجك. لكن، أخبريني ماذا أكلت قبل مرضك؟ يعني هل تناولت شيئا على غير العادة؟ فأغلب الأمراض مصدرها الطعام"

بعد تفكير عميق أشارت إلى خادمة كانت معنا في الغرفة فأحضرت طبقا. ولما كشفت عنه الغطاء ظهر جبن عليه بعض البقع الزرقاء وأشارت إليه السلطانة بوهن قائلة:

- " تم إهداؤه لنا من قبل أحد السفراء"

تفحصت قطعة منه وقلت:

- " تسمم غذائي وتحتاجين إلى مضاد حيوي"

نظرت إلي نظرت يملؤها عدم الفهم. ربتت على يدها وقلت:

- " لا تقلقي سوف أعالجك لن ادعك تعانين لكن أحتاج بعض المعدات !!"

(7)

الترياق

نظرت إلي نظرت يملؤها عدم الفهم. ربتت على يدها وقلت:

- " لا تقلقي سوف أعالجك لن ادعك تعانين لكن أحتاج بعض المعدات !!"

قرعت السلطانة جرسا بجوار فراشها. فجاء السلطان وأخبرته بأن يوفر لي ما أحتاجه. نظر إلى السلطان قائلا :

- " ماذا تحتاجين ؟"

سألته:

- " هذا رياض أليس كذلك؟ وتقومون بتقطير ماء الزهر"

رد السلطان:

- "بلى"

ثم أردفت:

- " أحتاج إلى جهاز التقطير وإكليل الجبل والزعتر وبعض الفئران. وأحتاج وقتا ربما أسبوع أو أسبوعين؛ حتى أجد الصيغة والتركيبة المناسبة لعلاج مولاتي السلطانة"

. نظر إلي السلطان وقال بشك:

- " وإن لم تنجحي هل تبحثين عن فصل رأسك عن جسدك؟"

لا أدري من أين أحضرت تلك الشجاعة، لكي أرد بنبرة يملؤها التحدي :

- "سوف أسخر ما لدي من علم ومعرفة لخدمة مولاتي. سوف نأخذ بالأسباب والكمال على الله. لا تنسى أن الله هو الشافي هو من أنزل الداء وهو من سينزل الدواء. وأنا على ثقة بربي ولن أخيب أبدا. وزيادة على ذلك أنا هنا ليس لثروات ومال لا حاجة لي بذلك فلا تخف ولا تهدد يا سيدي"

نادى السلطان على الجنديان وأمرهما بتوفير ما طلبته من دون تأخير بدأت في استخلاص الزيوت من تلك الأعشاب وأطعمت الفئران من تلك الجبنة حتى بدأت تظهر عليها نفس الأعراض التي ظهرت على السلطانة. ثم قسمتها إلى مجموعات كل مجموعة أحقنها بتركيبة مختلفة ثم أراقب تطور حالاتها. حتى بدأت إحدى المجموعات تستجيب للعلاج بعد اليوم الرابع من العلاج. تهلل وجهي فرحا وخرجت من غرفتي وأنا أصرخ:

- "أخيرا وجدت الترياق !!!"

أسرعت إلى غرفة السلطانة لكي احقنها بالترياق. وبعد أربعة أيام تحسنت حالتها. فرح السلطان أيما فرح فقال لي:

- " سامحيني يا آنسة لقد أسأت الظن بك في البداية، فحداثة سنك لا توحي بمعرفة بالطب والعلم"

قلت له:

- " أنا على مشارف الرابعة والعشرين من عمري رغم أن هيئتي توحي بالعكس، كما أن العمر ليس عائقا ولا معيارا؛ فخير دليل هو مولاتي السلطانة"

استغرب السلطان من كلامي وجدد اعتذاره وقال:

- "والآن ما طلبك؟"

هنا تدخلت السلطانة قائلة:

- " طلبها عندي أنت تبحثين عن الأجوبة ؟"

ابتسمت وحركت رأسي مؤكدة فأردفت قائلة :

- "اعيريني سمعك ولا تقاطعيني. أنا من استدعاك؛ عندما مرضت مرضا شديدا وفقدت الأمل في الشفاء قررت أن استدعيك إلى عالمنا. لكن، كان هناك شرط؛ أن تكملي الألف كتاب. ولحسن حظي كنت على مشارف نهاية الكتاب الألف، وما إن قرأت السطر الأخير دخلت لعالمنا. أكملت مهمتك الأولى والآن عليك أن تجدي نفسك وتكملي المهمة الثانية يا خويلاء !"

اندهشت من كلامها وقلت:

- " لماذا نطقت اسمي ؟ مازلت أريد أن أعرف المزيد !!!"

بدأت أتلاشى. قالت السلطانة بعيون دامعة :

- " الدرب الطويل والزمن قصير. فاسرعي يا خولة أنقذي ما تبقى من نفسك !!"

دخلت مجددا في المتاهة الملعونة وأنا أقول:

- " سوف أفتقدك يا نوارة"

في عالم آخر، وجدت نفسي شعرت بالعجز والحيرة. كلما انتهيت من لغز وجدت لغزا آخر. ماذا تقصد بكلامها بأن أجد نفسي؟ والأهم من هذا أين أنا مجددا ؟ تأملت المكان من حولي؛ حديقة من أزهار قلت في نفسي هل عدت إلى عالم إيناس ؟! يبدو المكان مختلفا. بقيت أتجول فجأة ظهرت مكتبة ضخمة أمامي. مددت يدي لاكتشاف محتواها سحبت الكتاب الأول وقلت لقد قرأته من قبل. بعدها سحبت كتابا آخر يا لها من مصادفة قرأته أيضا. بقيت اسحب الكتب بشكل عشوائي كتاب بعد كتاب. حتى بدأت أفطن لشيء ما فقلت في نفسي:

- " مهلا لحظة هذا الترتيب أعرفه جيدا، كل هذه الكتب زهور ورسم وكتب !!! هل يعقل أن يكون هذا العالم هو ...

(8)

سر القطة العجيبة

- زهور ورسم وكتب هل يعقل أن يكون هذا العالم هو؟!

سمعت صوتا من خلفي يقول:

- "نعم إنه عالمك"

استدرت بسرعة لكن، لم أجد شيئا. نظرت حولي أبحث عن مصدر الصوت. قلت بحذر:

- " من هنا؟ أين اختفيت؟"

سمعت الصوت يقول من جديد:

- " لم الاستعجال يا صغيرة؟ مازالت اللعبة في بدايتها"

وأطلق ضحكة عالية. استفزني صاحب الصوت. وقلت:

- " ليس لدي وقت لألاعيبك. أظهر نفسك وواجهني وجها لوجه"

ضحك صاحب الصوت مجددا وقال :

- "لا تكوني سخيفة هكذا. أنت لن تقدري عليَّ أبدا"

صرخت عاليا وقلت:

- " من أنت لتحكم عليَّ؟!"

قال بصوت أشبه بالفحيح:

- "أنا ؟ أنا أسوء كوابيسك، أنا خوفك، أنا آلامك، أنا الجزء الأسوء منك"

فجأة، بدأت الأزهار تذبل، والكتب تطير من مكانها، اختفت البهجة من المكان. وعمته الفوضى وغرق في ظلام دامس وأمطار غزيرة. نظرت في كل الجوانب أبحث عن جانب احتمي فيه. لكن، لسوء حظي لم أجد. عاد الصوت يقول من جديد :

- "لا فائدة أنت مقيدة بي. لن تستطيعي الهرب إلى أي مكان. أنا أنت وأنت أنا، لا مفر ولا مهرب لك مني. عليك أن تستسلمي"

وأطلق ضحكة زلزلت الأرجاء. أصبحت خائفة وغرقت في دموعي بشكل هستيري وصرت أردد:

- " ماذا أفعل؟ .. ماذا أفعل؟"

والصوت لازال يضحك ويقول :

- "أنت فاشلة. لا أحد يحبك، ولا أحد يهتم لأمرك. تتوهمين أنك شخص جيد في حين أنك لا شيء"

بقيت أبكي، لم أعد استحمل سماع كلمة أخرى. لم أعد استوعب ما يقال فلقد صار الكلام عبارة عن طنين. وضعت يداي على أذناي وأنا اصرخ:

- " كفى توقف أنا لست كذلك"

بقيت أبكي بخوف والطنين يعلو شيئا فشيئا. حتى سمعت همسات بقربي، نظرت فوجدت قطتي الصغيرة بالقرب مني، بدأت تقترب، خيل إليَّ وكأنها تتحدث. قلت في نفسي:

- " أين اختفيتِ؟ أم أنني انشغلت عنك؟"

فجأة، نطقت القطة قائلة:

- " أنا معك. فقط أنت لم تلاحظيني"

أوجست خفية منها. لاحظت القطة ذعري أكملت القطة كلامها لجعلي أطمئن :

- " لا تخافي ولا تجزعي. أنا معك منذ بداية رحلتك. إلا أنك لم تلاحظيني كعادتك للأسف"

ابتلعت ريقي بصعوبة ومسحت دمعي وقلت:

- " ماذا تقصدين؟"

غيرت القطة مكانها وقالت:

- " مشكلتك يا حبيبتي أنك لا تلاحظين بعض الأمور في حياتك؛ خاصة جوانبك الإيجابية. دائما ما تنظرين إلى الأمور من منحى يحزنك، فتقهرين نفسك كثيرا. أنت يا عزيزتي فتاة جيدة؛ رغم زلاتك، رغم أخطائك. أنت إنسان ولست ملاك. تخطئين مرة لكنك تتعلمين من الخطأ. تذكري يا غاليتي كم من ابتسامة رسمتها على وجه حزين. أتعلمين يا خولتي ... "

هنا وضعت يدي على فمي وأغلقت عيني. لاحظت القطة ذلك وقالت:

- " لا تخافي لن تختفي قوانين هذا العالم لا تنطبق عليَّ"

أطلق تنهيدة طويلة وأكملت القطة كلامها:

- " أنت صديقة تحب النصح رقيقة الطباع خفيفة كالغيم، لطيفة كالأمنيات الجميلة، تنتشل الآخرين بنور كلماتك الساطع من الظلام الذي كان يلفهم، وتمسكين بأيديهم لتهديهم إلى الطريق الصحيح. رغم أن المسافات ورغما عن أنفك يا عنيدة. لطالما كنت الأقرب إلى قلب أحدهم من بين جميع الذين كانوا من حوله، مجرد تذكر اسمك ينعش قلب المشتاق إليك. تذكري الأوقات التي صمدت فيها، تذكري الأوقات الرائعة. هيا يا خوختي اقتلي ذلك الصوت في داخلك وعيشي أيامك بهناء كوني خولة التي عرفتها أول مرة. كوني خولة التي أعادتني للحياة !!! "

نظرت إليها قائلة :

- " لكن من تكونين؟"

ابتسمت القطة :

- " ليس مهما من أكون. بل المهم من تكونين هل خولة القوية أم خولة البئيسة القرار لك"

هبت رياح قوية أفزعت القطة وجعلتها تختفي في الظلام الدامس.

مسحت دمعي ووقفت من جديد ناديت بأعلى صوت:

- "يا صاحب الصوت"

(9)

لا مزيد من الخوف

مسحت دمعي ووقفت من جديد ناديت بأعلى صوت:

- "يا صاحب الصوت أنا لم أعد خائفة منك"

ضحك الصوت قائلا:

- " مجنونة ! أنت خائفة وسوف تبقين كذلك للأبد"

قلت بحزم:

- " لا، لست كذلك !"

وبنبرة ملؤها الاحتقار رد الصوت:

- " أنت فاشلة ! وأضعف من مواجهتي"

أجبته:

- " نعم، فاشلة ! لكنني أنجح فاشلة في عالم الفاشلين !"

زمجر صاحب الصوت قائلا :

- " من تظنين نفسك؟"

استجمعت شجاعتي وقلت:

- "أنا خولة !!"

ضحك الصوت عاليا وقال:

- " لا تغتري بنفسك! أنت لا شيء. مجرد نكرة، يستغلون طيبتك ثم يتركونك عندما يجدون من هو أفضل منك و ... "

شعرت بالغضب يجري في عروقي وقلت في نفسي:

- "على هذه المهزلة أن تنتهي هنا"

ثم صرخت بكل ما أملك من قوة :

- " من تحسب نفسك لكي تقهرني كل يوم هكذا؟ أنا أعرف نفسي وأعرف قدري عند الآخرين. صحيح أني مررت بوقت صعب لكن، ليس إلى الأبد. لقد تعلمت أن أقف وحدي ؛ وسوف أقف من جديد. سوف أمضي بثبات وعزم. وسوف أعيش أيامي ببساطة وفرح. حتى وإن لم يحبني أحد لا يهم، سأظل أنا أحبهم. الدرب طويل والزمن يجري. الحياة قصيرة لا تمنحنا فرصا كثيرة! أتعلم؟! لم تعد تخيفني. ولن أستمع لك مجددا. سوف أسير على مبادئ كنت اتخذتها قبل سنوات. سوف أعود إلى ما كنت عليه. سوف أرسم لي أهدافا جديدة وأمضي بثبات لكي أحققها. أنا .. أنا فخورة بنفسي رغما عن أنفك وعن أنف الجميع!! هل فهمتني؟"

مع آخر كلمة شعرت أن قواي قد خارت. بدأت أتنفس بسرعة. في هذه الأثناء، صمت رهيب عم المكان. هدأت الأمطار، وانقشعت الغيوم، وعادت الأزهار والكتب إلى مكانها. فجأة، ظهرت فتاة صغيرة من العدم. وبدأت تسير نحوي ببطء وعندما

وصلت عانقتني بشدة قالت:" لقد أنقذتني من ذلك اللعين. أنا سعيدة جدا أنني سوف أعود" ولأول مرة شعرت بالراحة. وابتسمت ابتسامة واسعة وقد كانت ابتسامة من القلب. نظرت الصغيرة إلي وقالت :

- "تعرفين من أنا؟!"

اكتفيت بالابتسام، وبقيت جالسة في مكاني بجانبي الفتاة الصغيرة، وفي حضني تلك القطة العجيبة. وبعيدا لمحت بعض الظلال تقترب فلقد كانت آلاء وعبلة ومريم. اقتربن مني، وأخذتهن في عناق جماعي. بعدها نطقت السلطانة قائلة:

- "الآن بعدما أنهيت مهمتك آن الأوان لكي تعودي لعالمك؟ ولا تنسي نصيحتي ..."

وقلنا بصوت واحد :

- " الدرب طويل والزمن قصير"

ابتسمت ثم عانقتني. لكنني تساءلت:

- "كيف يمكنني العودة إلى عالمي؟"

اقتربت مني عبلة وقالت:

- " الحل سهل! عليك أن تقرئي ألف كتاب"

نظرت إليها بذعر شديد وقلت:

- " ماذا؟! ألف كتاب! بالكاد أستطيع إنهاء خمسين كتابا في العام. بهذا المعدل؛ يلزمني عشرون عاما هنا. يعني سوف أعود إلى عالمي عندما أبلغ الثالثة الأربعين من عمري! يا ربي أ ليس هناك حل آخر؟ أتوسل إليكن "

هنا انفجرت البنات من الضحك فاحمر وجهي خجلا. ثم قالت آلاء ضاحكة:

- " لم أتوقع منك أن تصدقي عبلة !"

وضحكت بصوت عال. قلت بارتباك:

- "أنا .. أنا لم أصدقها فقط .. أنا .."

لاحظت السلطانة ارتباكي وحرجي الشديدين وقالت:

- " تحتاجين رحلة آخر، إلى عالم آخر مختلف تماما عنا. والشخصية التي ستجدينها هناك هي من ستعيدك"

نظرت وقلت:

- " كيف ذلك وأنتن ثلاث شخصيات في مكان واحد! حتى لو نطقت اسمكن لن اختفي"

نظرت إليَّ آلاء وقالت بملل:

- " اعتقدت أنك تخلصت من مخاوفك لا من ذكائك"

فأردفت عبلة قائلة:

- " دعيها وشأنها لقد مرت بالكثير لازالت أعصابها متعبة"

بعد لحظات، تذكرت الفتاة الصغيرة وقلت:

- " لقد عرفت! هذا عالمي التقيت بنفسي أنا؛ أنا خولة"

ضحكت البنات وقالت عبلة:

- "كنت أعرف أنك ذكية وسوف تصلين إلى الحل"

بدأت بالتلاشي مرة أخرى ولأول مرة شعرت بالفرح والحنين في نفس الوقت. أسئلة كثيرة تدور في بالي من سألتقي؟ وكيف ستكون رحلة العودة؟

(10)

رحلة العودة

بدأت استعيد الوعي تدريجيا. ربما ستكون هذه المرة هي المرة الأخيرة التي سوف أعيش فيها هذه التجربة الغامضة. لقد بدأت اعتاد الأمر. لكن، للأسف هذه هي النهاية. لكن السؤال الأهم أين أنا؟ ولماذا قالت لي مريم أن هذا العالم مختلف؟ بدأت أنظر حولي ثم صحت مستغربة:

- " ما هذا عشب بنفسجي! أظن أنه بسبب البرد. لكن، النعناع وحده من يصير بنفسجيا بسبب البرد. ربما .. هو إفراط في عنصر .... لقد نسيت"

اقتربت بحذر وفضول من ذلك العشب البنفسجي، أخذت عينة شممتها وقلت:

- " خزامة؟! يا ربي لقد أهملت نظاراتي منذ دخولي هذا العالم لم امسحها لذا صارت الرؤية ضبابية؛ لدرجة أنني لم أعد قادرة على التمييز بين العشب والخزامة "

مسحت نظاراتي جيدا. لكن، الغرابة لم تنتهي فلقد لفت انتباهي أن هذا العالم ملون بدرجات من اللون البنفسجي. السماء والأشجار هذا غريب جدا! بينما كنت أمشي وأحاول فهم هذا

العالم انزلقت قدمي فسقطت في حفرة عميقة، وبينما كنت غارقة في الظلام، شعرت بنفسي أتحرك بسرعة عبر أبعاد جديدة. تأخذني الحفرة إلى مكان آخر مدهش، حقول التوليب المتلألئة بألوانها الزاهية. كانت الأزهار ترقص مع الرياح وتعزف لحناً هادئاً. استمررت في السير بين الصفوف اللامتناهية من التوليب، وكل خطوة كانت كمغامرة جديدة في هذا العالم الساحر. شعرت بسعادة لا تنتهي فأنا أحب التوليب كثيرا بقيت أسير وسط تلك الزهور بكل بطء حتى استمتع بكل لحظة هنا فجأة، لاحظت وجود باب مهيب يشرف على نهاية حقول التوليب. تساءلت عما إذا كان هذا الباب سيقودني إلى إجابات حول هذا العالم الغامض أم إلى مفاجآت أخرى في رحلتي ؟ هل أخاطر وأفتح الباب؟ اتبعت حدسي وفتحت الباب، لأجد نفسي في بستان من أشجار الخوخ وفتاة تجلس في المنتصف أمام لوحة كبيرة. كانت ترسم اقتربت كثيرا منها ودون أن تلتفت إلي قالت:

- " أهلا بك يا خوخة في عالمي"

شعرت بالفزع ثم تابعت كلامها دون ان تلتفت إليَّ فلقد كانت منهمكة في رسمها _ وأنا أعرف جيدا هذا الأمر عندما ترسم لا تحب أن تقاطع رسمك لأي سبب كان_ قائلة :

- "لا تخافي هنا لا تنطبق القواعد أبدا يمكنك قول اسمي كما تحبين"

بابتسامة عريضة وعيون دامعة قلت لها:

- " صديقتي معراج كم أنا سعيدة أنني وجدتك هنا"

ردت بابتسامة قائلة:

- " أيضا كنت في انتظارك. أرسم هذا اللوحة فهي سبيل عودتك. لا تزال تنقصها بعض التفاصيل. فلما لا تجلسين قليلا حتى انتهي منها"

استغربت قائلة:

- " لكن كيف؟"

ردت:

- " عندما تنتهي اللوحة سوف تفتح بوابة إلى عالمك يمكنك العودة باستخدامها"

بقيت جالسة بصمت أنظر حولي وأتذكر الذكريات السعيدة في هذا العالم الغريب. أتذكر مرح آلاء، وهمسات عبلة، وكلمات حليمة الحانية، حديقة إيناس، وقهوة خديجة، الأمطار الدافئة في عالم رواء، وكذلك ضيافة السلطانة. وتلك القطة العجيبة التي لا أدري أين هي الآن. فجأة، شعرت بمن يهمس في أذني قائلا:

- "أنا هنا معك لن أتخلى عنك أبدا"

انتفضت من مكاني متعجبة وقلت في نفسي:

- " لكن كيف؟"

همس الصوت من جديد قائلا:

- " لا تخشي شيئا غاليتي أنا بداخلك أسمع أفكارك ودائما معك لا تخافي"

بقيت انظر حولي بصمت واستغراب وقلت:

- " متى تنتهي الألغاز والغرائب؟ وما هذا الهمس المجهول؟"

همس الصوت من جديد قائلا:

- " أنا القطة "

شعرت بقشعريرة في جسدي فلقد زادني حيرة على حيرة. فجأة، نطقت معراج لتنتشلني من هذا الوضع المريب فقالت :

- "تعرفين يا خوخة ماذا أخشى في هذا الكون؟"

نظرت إليها وحركت رأسي نافية. ثم استرسلت:

- " غياب الصُّحبة في الأيّام الثّقال، لا أُخفي عليك فأنا أخشى غيابهم -بشدّة- في كلّ لحظةٍ وجدتها ترفًا على الرّوح. وأظن أنني لا أعذِر أبدًا هذا البعد الشائع الذي قد يخلقه حزن المرء في حين ورفاهيّته في حينٍ آخر. أريد أن نتلاحم في رخاء الموقف، وشدّته، وأن نرى سويًا هذه الأيّام.. وهي تتلطف، وتقسو "

ربتت على كتفها وقلت:

- "أنا دائما هنا حتى في الأوقات التي لا تفهمين فيها نفسك سأكون معك. هل تفهمين هذا؟"

حركت رأسها مؤكدة. لتقول لي في النهاية:

- " تفضلي، لوحتك صارت جاهزة "

عانقتها بشدة قبل أن أغادر ودخلت إلى تلك اللوحة. بعد لحظات صرت في مكان آخر. نظرت حولي وقلت:

- " هذه غرفتي! لقد عدت إلى عالمي"

فجأة لاحظت وجود القطة العجيبة في حضني. أمسكت بها وقلت:

- "وأنت من تكونين؟ ما قصتك؟"

بدأت القطة تحدق في الأرجاء، وعندما لمحت النافذة مفتوحة فقفزت من حضني، واتجهت نحوها وهربت بعيدا. اتجهت نحو النافذة لكي أعرف أين ذهبت، حتى لمحتها قفزت في حضن شخص كان خلف الشجرة كان ينظر إليَّ ويبتسم ثم اختفى عن أنظاري.

تمت الحمد الله

رحلة الهوية

مشكلتك يا حبيبتي أنك لا تلاحظين بعض الأمور في حياتك؛ خاصة جوانبك الإيجابية. دائما ما تنظرين إلى الأمور من منحى يحزنك، فتقهرين نفسك كثيرا. أنت يا عزيزتي فتاة جيدة؛ رغم زلاتك، رغم أخطائك. أنت إنسان ولست ملاك. تخطئين مرة لكنك تتعلمين من الخطأ. تذكري يا غاليتي كم من ابتسامة رسمتها على وجه حزين.

خولة اعبيد

Khaoula Abid